

هذه هي ظروفنا وهكذا تبدو حياتنا

رحبت شكرية التي تبلغ الخمسين من العمر والتي تعيش مع ستة من الأطفال بقدمي لزيارتها في منزلها المؤقت، وبدأت على الفور بإخباري عن الظروف الصعبة التي تعيش فيها هي وعائلتها. ولم يكن من الصعوبة بمكان ملاحظة أن نوافذ البيت بدون زجاج وأن أرضية وجدران الغرف عارية. وعلى الرغم من برودة الطقس في الخارج، إلا أن أفراد العائلة جميعهم كانوا يرتدون ملابس صيفية، فهم ليسوا قادرين على شراء غيرها.

وقد قيل لي أن البيت لم يكن يحتوي على حمام أو حتى مرحاض لدى وصول العائلة إليه، علاوة على أن الماء والكهرباء لم تكن متوفرة أيضا جنبا إلى جنب الى نظام لتصريف المياه العادمة. وقد استنفذت شكرية كافة الموارد المحدودة التي كانت بحوزتها من أجل التكيف مع هذا النقص. وهي تقول بهذا الصدد "لا يوجد لدينا مرحاض أو مكان للاستحمام، ونضطر لقضاء حاجتنا في الخارج. ولقد قمت ببناء سقف بسيط من سعف النخيل من أجل أن نستحم فيه، وأضطر لتسخين الماء في سطل معدني".

ولا يتوفر للعائلة فرشاة النوم عليها أو حتى أغطية لتدفئهم خلال الليل. وقد علمت بأن السقف يرشح فوق رؤوسهم بعض الشيء إلا أنه يعتبر أكثر أمانا من بعض البيوت المتناثرة حوله. وقد قامت شكرية ببناء سقف بيتها بنفسها باستخدام سعف النخيل والجبسين. ولست أتخيل كيف يمكن العيش والنوم في بيت كهذا في الأيام والليالي الممطرة.

وعند اشتداد المطر، تعمل شكرية على مشاطرة القليل الذي تملكه مع باقي أفراد الأسرة. "خلال الفترة الأخيرة التي شهدت سقوطا كثيفا للأمطار، قمت بإيواء أربعة عشرة فردا من أفراد عائلتي، وبتنا جميعنا في غرفة واحدة"، تقول شكرية.

وفي معرض إجابتها على سؤال لي حول طبيعة حياتها قبل الحرب، قالت شكرية "كانت حياتي وعائلي مختلفتين. لا أقول أننا كنا نعيش كالمملوك إلا أننا قطعاً كنا نعيش حياة كريمة لم نكن نجوع خلالها. كنا نملك منزلنا ولم يكن علينا التنقل من مكان لآخر كما نفعل اليوم. كانت لدينا مواشي وحيوانات أليفة، وكنت قد زرعت بعض الخضروات والبطيخ علاوة على أنني كنت أقدم يد المساعدة للرجال في أعمال الزراعة والحرق والحصاد وتسويق المنتجات. لقد كانت تلك المهام كافية لضمان توفر طعام نضعه في أطباقنا، لقد كنا نحصل على حصصنا العادلة وكانت دوما تعود علينا بالنفع. أيضا، كان لدينا ماء

وكهرباء في تلك الأوقات. لقد تغيرت أوضاعنا وظروف معيشتنا بشكل كامل عما كانت عليه في السابق".

وفي أغلب الأحيان، لا يتوفر للعائلة سوى الخبز لتقتات عليه والشاي لتشربه طيلة النهار، وفي العديد من المناسبات كان أفراد العائلة يأوون لفراسهم في الليل دون اي طعام على الإطلاق. وتتلقى العائلة حصصا تموينية مرة في الشهر إلا أن نقطة الحصول على تلك المعونات بعيدة جدا ولا تستطيع شكرية تحمل كلفة المواصلات اللازمة للذهاب إلى مركز التوزيع. وهي تجهد نفسها من أجل أن تتمكن من جمع المال اللازم للذهاب مرة واحدة فقط كل ثلاثة أشهر، الأمر الذي يوفر لها إضافة قليلة لما لديها. "لقد عرض أطفالي علي الذهاب من أجل الحصول على تلك الحصص بأنفسهم إلا أنني أخشى على سلامتهم وأضطر في أحيان كثيرة للذهاب بدلا عنهم"، تضيف شكرية. وعلى الرغم من عدم إخبارها لي بأن النساء الذين يعيشون ظروفًا مشابهة لظروفها يكن في العادة ضحايا لأعمال العنف، إلا أنني تمكنت من معرفة ذلك بطريقة أخرى.

"لقد أراد أطفالي الستة العمل في محاولة منهم لمد يد العون للأسرة والحصول على مقدار من الدخل لنا. ولسوء الحظ، فلا يوجد أحد يرغب بتوظيفهم حيث أنهم لا يستطيعون القراءة ولا الكتابة. وعلى أية حال، فإنهم يخرجون ويحاولون قدر استطاعتهم ويعودون في معظم الأحيان وأيديهم خاوية. كما أنني أواجه صعوبة في الحصول على عمل لأنني أنا الأخرى لا أستطيع القراءة أو الكتابة".

"... وفي بعض الأحيان، أقوم بجمع علب الكولا الفارغة وعبوات النايلون وبيعها للمصانع التي تقوم بتدويرها، ويمكنني بهذه الطريقة جني القليل من المال".

وفي المنطقة التي تعيش شكرية فيها، فإن خدمات الماء والكهرباء ليست متوفرة، علاوة على أن شكرية لا تستطيع شراء الوقود. "إنني أقوم بطهي طعامنا باستخدام الخشب والكرتون الذين أقوم بجمعهم من المصانع المجاورة. كما أقوم بصنع الخبز داخل فرن قمت ببنائه من الطين... إنني في العادة أبقى داخل البيت طيلة اليوم وأقوم بمهام عملي اليومية من جلب للمياه وغسيل للملابس

وتقطيع الخشب للطهي منذ الصباح الباكر حيث أن الطهي على الحطب يستغرق وقتاً أطول، ولا يمكنني الانتظار طويلاً حيث أن لدي أطفال ينبغي إطعامهم".

لقد كان للحلول الإبداعية التي ابتكرتها شكرية للتعويض عن غياب الوقود والكهرباء أثرها على صحتها، فهي تعاني اليوم من أزمة صدرية نتيجة التعرض المباشر للدخان والنار خلال صنع الخبز. كما أن الرطوبة في منزلها قد فاقت حالتها سوءاً، وهي لا تستطيع فعل الكثير لتحسين وضعها الصحي، وهي تقول "أنها لا تملك حتى شراء جهاز للاستنشاق".

"لم يعد زوجي بجانبني، فقد مات جراء مرض السل. لذلك فإنني اليوم مسؤولة بالكامل عن أطفالي، وهي مسؤولية كبيرة، ولكن ما الذي يمكنني أن أفعله؟ كما أنني أعتني أيضاً بشقيقة زوجي وهو أمر غاية في الصعوبة، فهي معاقة ولا يمكنها تقديم يد المساعدة لنا في الحصول على متطلبات حياتنا. إنني أحاول تدبير الأمور بنفسني، وأبذل جهدي من أجل التوفير، فعلى سبيل المثال، أقوم بطهي كافة الأطعمة في وعاء واحد وذلك كي نتمكن من الاقتصاد في استهلاك الحطب الأمر الذي يقلل من المصاريف التي نتكافها".

"هذه هي ظروفنا وهكذا تبدو حياتنا"